

الحاج الأَحْسَن بن محمد البعقيلي (1368هـ)

العالم الجليل والصوفي الزاهد والمربي الناصح، الذي جمع بين الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادل أهل المراء بالأحسن فكان اسم الصفة مطابقا للفعال. سوسي الأصل والنشأة، بيبضاوي القرار والمدفن، وما ارتحل إلى دار الخلد حتى كان قد أسس مائة زاوية تجانية في جميع ربوع البلاد.

سيدي الحاج الأَحْسَن بن محمد بن أبي جماعة، ويكتب أحيانا الحسن. حفظ القرآن ببلدته الأولى بعقيلة بمدرسة (إكدي) وفيها رأى أن الرسول عليه السلام كساه حلة أولها صاحب الترجمة بالدين والإمامة والإطلاع على الحقائق (المعسول)، 11: 161-163).

ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة العربية، فأخذ عن جملة من الأساتذة، ولازم بعد ذلك الحاج مسعودا الوفقاوي بمدرسة بوابوض قبل أن يلتحق بفاس سنة 1900/1318 حيث بقي بمدرسة الصفارين مدة يسيرة، ثم التحق بأولاد كَنُون فتزوج هناك وولد له واكتسب مالا قبل انتقاله إلى القصر الكبير الذي تزوج به من إحدى الأسر الفاسية، على أنه سرعان ما انتقل إلى مدينة سطات مارًا بالخرزارة واستقر به المقام أخيرا بمدينة الدار البيضاء سنة 1929/1348 وظل بها إلى وفاته سنة 1948/1368.

إلى جانب هذا النشاط العلمي والرحلات والمهام الرسمية أسهم صاحب الترجمة بحظ وافر في مجال التصوف، فقد أذن له باكراً في الطريقة الأحمدية التجانية أستاذه الشهير الحاج الحسين الإفرائي مؤسس الزاوية التجانية بتزنييت.

كما أخذ التصوف أيضا عن الشيخ الحاج عبد الله الغشاني (المعسول)، 11: 160) وقد أثبت صاحب المعسول إجازة الشيخ الإفرائي لصاحب الترجمة تتضمن

توجهات دقيقة في كفيات استعمال بعض الأذكار وآداب ذلك للمريد السالك طريق الترقى والتزكية عند الصوفية عامة وعند الشيخ التجاني خاصة، مع الإذن بتلقين المريدين هذه الأذكار وما تفعل في تلقين الاسم الأعظم (المعسول، 11، 161).

وقد أجز صاحب الترجمة في السلوك الصوفي من طرف شيوخ آخرين، منهم سيدي علي الإسكلي، وسيدي الطيب بن أحمد بن الطيب السفياي، وأحد أحفاد الشيخ التجاني مؤسس الطريقة سيدي محمود رضي الله عنه، ومن الشيخ التجاني نفسه عن طريق الاتصال الروحي في الاسم الأعظم وغيره.

وحصل له بسبب هذا التجوال على مستوى الأمكنة والرجال ما بين قراء وعلماء وصوفية وحكام ملامح سلوكية وعلمية بارزة طبعت شخصيته فجعلته متمكنا من الحديث، حسنَ المحاضرة والاستطرادات اللغوية والقصصية وغيرها، مع ميل إلى الانبساط، متخذاً ذلك أسلوباً تربويًا لإيناس المريدين والزوار، مع ما استلزمه ذلك من كرم في الضيافة ورفع للخرج بينه وبين خواص جلسائه.

ورغم ذلك كان ضابطاً للسانه في تناول سيرة الأشخاص مع حرص على ملازمة الوضوء وإقامة الصلوات في أسرته ذات العدد زوجات وأبناء. وإلى جانب هذه الحياة الصوفية الحافلة أنتج قلمه مجموعة من المؤلفات وربما كان ذلك من أثر تخرجه من المدرسة الإلغية ذات الاتجاه الأدبي بسوس حتى وصفت مؤلفاته بالجودة .

مؤلفاته:

مقاصد الأسرار والحنفى والجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأحنفى، وهو في تفسير سورة البقرة في جزأين طبع بالدار البيضاء سنة 1935/1354.

تبيين الأشراف أهل دائرة الوسائل وقبلة توجه كل سائل، طبع بالمطبعة نفسها سنة 1939/1358 في 122 صفحة.

تحفة الأطفال في مُعرب الأسماء والأفعال، سنة 1935/1354 في 36 صفحة.

رسالة إلى الولدان من فارس أهل الميدان طبعت سنة 1938/1357.

الإشفاق على مؤلف صاحب الاعتصام مما جناه إفكه على أهل الإسلام،
المطبوع عام 1938/1357 في 60 صفحة.

إعلام الجهال بحقيقة الحقائق بأسنة نصوص كلام سيد الخلائق، ممزوجا بالمولد
النبي، طبع سنة 1938/1357 في 37 صفحة.

الحاشية بالشرب الصافي من الكرم الكافي، طبعت سنة 1935/1354 في
جزأين.

إراءة عرائس شمس فلك الحقائق العرفانية، طبع سنة 1934/1353.

تحقيق الحقائق عن كشف مقالات أهل الطائف، طبع سنة 1937/1356 في
160 صفحة.

ترباق لمن فسد قلبه ومزاجه، طبع سنة 1939/1358.

الزلال الأصفى واللباب المحض الأوفى، طبع سنة 1934/1353 في 220
صفحة.

سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار، طبع في السنة المذكورة أيضا في 135
صفحة.

رفع الخلاف والغمة فيما يظهر في اختلاف الأمة، طبع سنة 1934/1354 في 108
صفحة.

إيضاح الأدلة بأنوار الأئمة، طبع سنة 1934/1353 في 115 صفحة.

وقد أسس من أجل إخراج هذه المؤلفات التي دأب على نشرها تباعاً المطبعة العربية بالدار البيضاء، وكانت زاويته بجي درب غلف في المدة التي قضاها بهذه المدينة ما بين نشاط علمي وطباعي ونشاط تربوي صوفي، لم تنزل قائمة إلى الآن بدورها التربوي والعلمي بفضل جهود أبنائه وعلى رأسهم وارث سره ابنه سيدي محمد الكبير البعقلي. وكانت وفاته عام 1948/1368.

مصادر البحث:

م. المختار السوسي، المعسول، 11: 155-186، 12: 193، سوس العاملة، 208، 218،

ع. ابن سودة، دليل مؤرخ، 74،

م. ر. كحالة، معجم المؤلفين، 3: 211،

إ. بلماحي الإدريسي، معجم المطبوعات، 174-175.

معلمة المغرب، ج 4، ص 1286